

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٥﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

[مريم: 54 - 55]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

أغراض الأنبياء
واحدة، تتكامل
ولا تتخالف

لما ذكر في الآيات السابقة إبراهيم ﷺ وهبة الله له بإسحاق ويعقوب، ذكر - هنا - إسماعيل ﷺ، وفصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه بقصة موسى، لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً⁽¹⁾؛ لكونه الابن البكر لإبراهيم ﷺ، وشريكه في بناء الكعبة⁽²⁾، وناسب أن يأتي به بعد موسى ﷺ لكونه موافقاً له في ظهور آية الماء الذي به حياة كل شيء، وإن كانت آية موسى ﷺ انقضت بانقضائه، وآيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽³⁾، ولكونه جد خاتم الأنبياء ﷺ، الذي ينسخ الله به شريعة بني إسرائيل التي هي من موسى إليهم، وتبشّر بالنبي العربي من ولد إسماعيل - عليهم جميعاً السلام -.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْكِتَابِ﴾: (كتب) أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالكِتَابَةُ⁽⁴⁾، يُقَالُ: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كِتَابًا، وَالْكِتَابُ: الْفَرَضُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: 183]، وَيُقَالُ لِلْحُكْمِ: الْكِتَابُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةُ ٥٥﴾ [البينة: 3]، أَي: أَحْكَامٌ مُسْتَقِيمَةٌ، وَيُقَالُ لِلْقَدَرِ: الْكِتَابُ⁽⁵⁾، وَالْكِتَابُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ⁽⁶⁾.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 270 / 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 129 / 16.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 213 / 12.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كتب).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، والزبيدي، تاج العروس: (كتب).

(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 496.

(2) ﴿صَادِقٌ﴾: (صدق) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ، وَمِنْهُ: الصَّدَقُ، سُمِّيَ بِهِ؛ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ⁽¹⁾، وَصَدَّقَهُ: قَبِلَ قَوْلَهُ، وَصَدَقَهُ الْحَدِيثُ: أَنْبَأَهُ بِالصَّدَقِ، وَيُقَالُ: صَدَقْتُ الْقَوْمَ، أَيُّ: قُلْتُ لَهُمْ صِدْقًا، وَرَجُلٌ صِدْقٌ، وَامْرَأَةٌ صِدْقٌ، وَصِفَا بِالْمَصْدَرِ، وَصَدَّقُ: صَادِقٌ، كَقَوْلِهِمْ: شِعْرٌ شَاعِرٌ، يُرِيدُونَ الْمُبَالَغَةَ وَالْإِشَارَةَ، وَالصَّدِيقُ: الْمُلَازِمُ لِلصَّدِيقِ⁽²⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالـ﴿صَادِقٌ﴾ فِي الْآيَةِ: الْمُبَالِغُ بِالصَّدَقِ وَالْمَشْهُورُ بِهِ، وَبِهِ اشْتَهَرَ إِسْمَاعِيلُ، وَتَرَكَهُ خُلُقًا فِي ذُرِّيَّتِهِ⁽³⁾.

(3) ﴿الْوَعْدُ﴾: (وعد) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى تَرْجِيَةِ بَقُولٍ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ أَعِدُّهُ وَعَدًّا، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وَشَرٍّ⁽⁴⁾، وَالْوَعْدُ: مَعْرُوفٌ، وَعَدْتُ الرَّجُلَ أَعِدُّهُ وَعَدًّا حَسَنًا مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ، وَقُلَانٌ وَفِي الْوَعْدِ وَالْوَعْدِ⁽⁵⁾، وَالْوَعْدُ فِيهِ حَقِيقَةٌ لَا مَحَالَةَ⁽⁶⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْوَعْدِ فِي الْآيَةِ: إِخْبَارٌ مُخْبِرٌ بِأَنَّهُ سَيَعْمَلُ عَمَلًا لِلْمُخْبِرِ، وَأَعْظَمُ وَعْدٍ صَدَقَهُ إِسْمَاعِيلُ، وَعَدُّهُ إِبْرَاهِيمَ بِأَنَّ يَجِدَهُ صَابِرًا عَلَى الذَّبْحِ، فَقَالَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الصافات: 102]، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

(4) ﴿مَرْضِيًّا﴾: (رضي) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ السُّخْطِ، تَقُولُ: رَضِيَ يَرْضَى رِضًى، وَهُوَ رَاضٍ، وَمَفْعُولُهُ مَرْضِيٌّ عَنْهُ⁽⁷⁾، وَرَضِيتُ الشَّيْءَ وَارْتَضَيْتُهُ فَهُوَ مَرْضِيٌّ، وَمَرْضُوءٌ⁽⁸⁾، وَرِضَا الْعَبْدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَلَّا يَكْرَهُ مَا يَجْرِي بِهِ قَضَاؤُهُ، وَرِضَا اللَّهِ عَنِ الْعَبْدِ: هُوَ أَنْ يَرَاهُ مُؤْتَمِرًا لِأَمْرِهِ، وَمُنْتَهِيًا عَنْ نَهْيِهِ، وَالرِّضْوَانُ: الرِّضَا الْكَثِيرُ⁽⁹⁾، وَالْمُرَادُ هُنَا مِنْ رِضَا اللَّهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ: إِنْعَامُهُ عَلَيْهِ نِعْمًا كَثِيرَةً؛ إِذْ بَارَكَهُ وَأَنَمَى نَسْلَهُ وَجَعَلَ أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَجَعَلَ الشَّرِيعَةَ الْعُظْمَى عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ⁽¹⁰⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (صدق).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 129/16.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (وعد).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 60/3.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي).

(8) الأزهري، تهذيب اللغة، والجاهلي، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (رضي).

(9) الزاغبي، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (رضي).

(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 130/16.

المرضي عند الله
هو الفائز بأعلى
الدرجات

✽ المغنى الإجمالي:

وَأَتْلُ - يَا مُحَمَّدٌ - في القرآن على قَوْمِكَ خبرَ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهما الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، أَنَّ إسماعيلَ كان صادقًا في وعودِهِ، مُبالِغًا في إنجازها، فما وعدَ وعدًا معَ الله أو مع النَّاسِ إِلَّا وَفَّى بِهِ، فكان لا يُخالف شيئًا ممَّا يُؤمَرُ بِهِ مِنْ طاعةِ رَبِّهِ، وإذا وعدَ النَّاسَ بشيءٍ أنجز وعده، وناهيكَ مِنْ صدق وعده أَنَّهُ وعدَ أباهُ أَن يَصْبِرَ على الذَّبْحِ، فوفَّى بذلك، قائلًا: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفّات: 102]، وكان رَسُولًا وَنَبِيًّا، رفيعَ القَدْرِ، يوحى الله إليه، وكان يأمر أهله وأقرب النَّاسِ إليه بالحِرْصِ على أداء الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ؛ حتى يكون هو وأهله قُدوةً لغيرهم في العمل الصَّالح، وكان محمودًا عندَ الله في أعماله، ارتضاه الله تعالى، وجعله مِنْ الخواصِّ الْمُقَرَّبِينَ؛ لاجتهاده فيما يُرضيه، فرضيَ رَبُّهُ عنه، ورضيَ هو عن رَبِّهِ⁽¹⁾.

✽ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَأَذْكُرُ﴾:

ذُكِرَ عزائم الكبار
ينفع ويهدي

جملة: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ وما بعدها ممَّا هو مِنْ تمامها؛ معطوفة على جملة: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم: 51] وما بعدها ممَّا هو مِنْ تمامها؛ مِنْ عطفِ جملةٍ مِنَ الجملِ على جملةٍ مِنَ الجملِ، جمعًا بينَ المذكوراتِ المأمُور بها مِنْ أحوالِ كبارِ الأنبياء عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وهو مِنْ بابِ عطفِ القِصَّةِ على القِصَّةِ، أو الواو للاستئناف النحوي⁽²⁾، للشَّروعِ في كلامٍ أَنفٍ جديد بعد تمامِ آئِفٍ سابق، والاستئناف يُبرز استقلالية الجملة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 562/15، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 116/11، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 496.

(2) صافي، الجدول: 314/16.

في العناية بمضمونها؛ إبرازًا لشأن إسماعيل ﷺ، وأنه حقيقٌ بأن يُذكر استقلالاً، ومعنى الاستئناف والعطفِ متقاربٌ، حيث إنَّ عطفَ القصَّةِ على القصَّةِ فيه معنى الاستئناف؛ لأنَّه يُشْرَعُ في معنى جديدٍ كليٍّ معطوفٍ على معنى كليٍّ سابق.

سِرُّ تقديم الجارِّ والمجرور على المفعول:

في مطلع الآية تقدَّم الجارُّ والمجرور: ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ على المفعول: ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾، وكان الأصلُ عكسَ التَّرتيب؛ لكمال العناية والاهتمام بذكرِ إسماعيلَ ﷺ، من جهة أنَّ ذكرَه في الكتاب الذي هو القرآن أو هذه السورة له شأنٌ أيُّ شأنٍ، ففي التَّقديم تشويقٌ للمؤخَّر، وإعلامٌ بأنَّ له مزيدَ اختصاصٍ بهذا الكتاب، وفضَّلَ شأنٍ فيه؛ ومثُلُ هذا يقال في مثُلِ هذا التَّقديم والتَّأخير في السورة؛ كما في قوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: 16]، وقوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: 41]، وقوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى﴾ [مريم: 51]، وقوله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾، ووزانُ هذا التَّرتيب: ﴿فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ونظائره، ووزانُ التَّرتيب في مطلع السورة: ﴿كَهَيْعَصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ②﴾ [مريم: 1 - 2]، فهو ذِكْرٌ فَخْمٌ؛ لأنَّه مُهَدَّ له بمضمون المُقدِّم وبصفةٍ تقديمية: ﴿كَهَيْعَصَ ①﴾ [مريم: 1]؛ كما يُقدِّمُ للتلاوة النَّادرة، وللمُحاضرة الرَّائعة، وللخبرِ النَّادر، والحديثِ العظيم، وهكذا، ولله المثلُّ الأعلى، وكلامُه صفته، فله المثلُّ الأعلى، وإن كان قوله: ﴿كَهَيْعَصَ ①﴾ [مريم: 1] ليس له معنى متَّفَقٌ عليه تؤدِّي إليه ضوابطُ فهم المعنى وتحصيلِ مراده ومقصوده، غير أنَّ الإبهام الذي يكتسبه من كونه من التشابه الذي لا يعلمه إلَّا الله، يُحقِّقُ التَّهيئةَ الفخمةَ والتَّمهيدَ المُشَوِّقَ والمُثِيرَ لقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا ②﴾ [مريم: 2]، بل إنَّ تحقيقَ ذلك مع الحروف المُقطَّعة أبلغ وأقوى منه مع غيره، ممَّا لا يكون من الحروف المُقطَّعة، وإنَّما يكون من المُحكَّم.

في التَّقديم
تشويقٌ
للمؤخَّر، وإعلامٌ
بأنَّ له مزيدَ
اختصاصٍ

علّة فصل جملة ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾:

يرفع الله ذكر
العبد بالصدق

فُصِلَتْ جملة: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾؛ لوقوعها تعليليّة لجملة الأمر بالذكر⁽¹⁾: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾، أو لوقوعها استئنافاً بيانياً⁽²⁾، جواباً لسؤالٍ مُقدّر عن علّة الأمر بذكره؛ فافتتاحها بحرف التأكيد أغنى عن العاطف في الرّبط والوصل، والأجوبة البَيانيّة تُساقُ مفصولةً غير مقرونةً بالعاطف، وفيها معنى التّعليل لما قبلها، فكلُّ استئناف بيانيّ فيه معنى التّعليل لما قبله، وليس كلُّ تعليل استئنافاً بيانياً.

دلالة التّعبير بالجملة الاسميّة المؤكّدة:

الأنبياء
مطبوعون على
الناقب الشّريفة

إيراد قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ جملةً اسميّةً مؤكّدة؛ لتحقيق مضمونها، وتأكيد النّسبة بين الاسم والخبر، فيفيد ثبوت نسبة صدق الوعد لإسماعيل عليه السلام، وهذه الجملة اكتنفها تأكيدات: افتتاحها بـ (إِنَّ) وهي تأكيديّة أفادت الرّبط التّعليليّ مع ما قبلها على اعتبار الاستئناف البيانيّ، و﴿كَانَ﴾ التّحقيقيّة في ثبوت خبرها لاسمها، وكان يمكن أن يقال: (إِنَّهُ صَادِقُ الْوَعْدِ)، فأقحم الكون الماضي لزيادة التّأكيد، إشارةً إلى قِدَمِهِ وعراقته في صدق الوعد، بما يدلُّ على نشأته النّبويّة مُدَّ ميلاده، ويكأنّ الكون الماضي يُفيد أنّ صدق الوعد ليس حادثاً في حياته، أو خصلةً جديدةً عليه، بل شيءٌ تشرّبه منذ كان.

بلاغة إضافة ﴿صَادِقَ﴾ إلى ﴿الْوَعْدِ﴾:

من صدّق مع
الله لا يكذب
النّاس

إضافة ﴿صَادِقَ﴾ إلى ﴿الْوَعْدِ﴾ في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾؛ لتعيين مجال صدقه، فالإضافة للبيان، فإذا سأل سائل: صدق في أيّ شيء؟ أجيب بأنّه كان صادق الوعد، أي: صادقاً في وعده، ولا

(1) درويش، إعراب القرآن: 6 / 120.

(2) صافي، الجدول: 314 / 16.

يَتَأْتِي أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ؛ لِأَنَّ الْأَسْلُوبَ لَوْ
فُكِّ، فَقِيلَ: (إِنَّهُ كَانَ وَعْدًا صَادِقًا): لَمَا صَحَّ مَعْنَى.

سِرُّ إِثَارِ صِفَةِ (صَدَقَ الْوَعْدُ):

نُكِّتَةُ تَخْصِيصِ إِسْمَاعِيلَ ﷺ بِـ (صَدَقَ الْوَعْدُ) دُونَ غَيْرِهِ، لِكَمَالِ
اشْتِهَارِهِ بِهِ⁽¹⁾، فَمُدِّحٌ بِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ، فَغَيْرُهُ اشْتَهَرَ بِأَصْلِ الصِّفَةِ، وَلَوْ
كَانَ الْمَقْصُودُ إِثْبَاتَ أَصْلِهَا دُونَ كَمَالِهَا لَمَا كَانَ مَنَاطُ امْتِنَانٍ وَمَدْحٍ
مِنَ الرَّحْمَنِ؛ فَقَدْ صَدَّقَ أَبَاهُ وَعَدَهُ لَمَّا قَالَ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ﴾ [الصَّافَات: 102]، عَلَى أَنَّ (صَدَقَ الْوَعْدُ) يُفِيدُ عَمُومَ الْمَدْحِ،
لِعُمُومِ الْوَصْفِ فِي نَفْسِهِ، لَا فِي مَتَعَلِّقِهِ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ صَدَقَ الْوَعْدُ
وَصِفٌ جَامِعٌ فِي الْوَفَاءِ بِكُلِّ مَا يَنْبَغِي حِفْظُهُ وَمُرَاعَاتُهُ، وَصِدْقُهُ مَعَ
أَبِيهِ ﷺ مِثَالٌ عَلَى ذَلِكَ، وَفِي وَصْفِهِ بِصَدَقَ الْوَعْدُ نُكِّتَةُ أُخْرَى بِدِيْعَةٍ:
وَهِيَ الْإِشَارَةُ إِلَى وَرَاثَتِهِ صِفَةَ أَبِيهِ الْخَلِيلِ ﷺ، فَهَذَا مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ
وَصَفَ الْقُرْآنُ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [التَّحْمِيم: 37]، فَكَذَلِكَ إِسْمَاعِيلُ: ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، وَإِنَّمَا اصْطَفَى
الْقُرْآنُ هَذِهِ الصِّفَةَ بِالذِّكْرِ مِنْ صِفَاتٍ كَثِيرَةٍ لَهُ؛ لِأَنَّهَا أَدْلُ عَلَى كَمَالِ
الْعِبُودِيَّةِ الْأَلْصِقِ بِالرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّتِي تَسَلَّطَتْ عَلَيْهَا فِي مَطْلَعِ
السُّورَةِ، وَالَّتِي مِنْ آثَارِهَا مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهُ.

نُكِّتَةُ الْمَجِيءِ بِالْمُسْنَدِ اسْمَ فَاعِلٍ:

مَجِيءُ الْمُسْنَدِ عَلَى بِنَاءِ اسْمِ الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَادِقٌ﴾،
لِلدَّلَالَةِ عَلَى رَسُوخِهِ فِي الصِّدْقِ، وَأَنَّهُ صَارَ يَصْدُقُ إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي
انْطَبَعَ فِيهَا الصِّدْقُ بِذَاتِهِ، فَسُمِّيَ بِهِ حَتَّى قِيلَ لَهُ: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾،
وَبِنَاءِ اسْمِ الْفَاعِلِ يَدُلُّ عَلَى الْحَدَثِ وَالْحُدُوثِ وَالذَّاتِ، وَعَلَى مُزَاوَلَةِ
الْوَصْفِ وَلُزُومِهِ لِصَاحِبِهِ فِي الْمَاضِي وَالْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ، مَعَ إِفَادَةِ
اسْتِمْرَارِهِ عَلَى صِفَةِ صَدَقَ الْوَعْدُ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا أُضِيفَ

مَنْ اشتهر بشيء
نُكِتَ به

مَنْ لَزِمَ شَيْئًا
انْطَبَعَ فِيهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 129 / 16.

إلى الوعد؛ فدلّت الإضافة على لزوم الصدق لجنس وعده، وعدم انفكاكه عنه؟

سرّ التعبير بالمصدر: ﴿الْوَعْدُ﴾، ومعنى (أل) فيه:

الوعد مختبرات
الرجال

التعبير بالمصدر في قوله: ﴿الْوَعْدُ﴾؛ لأنه أراد الحدّ ذاته مُجرّدًا عن الزّمن، ولذلك أضاف إليه الصدق، فحتّى تصحّ الإضافة لا بدّ أن يُؤتَى بالاسم، فإنّ الإضافة لا تكون في الأفعال، ولأنّ المصدر هو المعنى الثّابت الذي يقع عليه فعل الفاعل بصدقه وإنجازه، فحينما يقول: ﴿صَادِقُ الْوَعْدِ﴾، فالوعد هو المعنى الخالص الذي يُحدّثه ويُخرّجه الفاعل من العدم إلى الوجود، والأفعال والأوصاف المشتقة كلّها متعدّية إليه⁽¹⁾، والتّعريف في ﴿الْوَعْدِ﴾ لاستغراق الجنس حقيقةً وأفرادًا، والاستغراق في الحقيقة حقيقي، وفي الأفراد عرفي، لأنّه صديق فيما يعدّ به فقط، وهذا يستغرق أفراد الوعد بحسبه هو، لا بحسب عمومها في المطلق.

بلاغة الوصل في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾:

النّبوة والرّسالة
رأس المناقب

جملة: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ معطوفة على جملة: ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾⁽²⁾ من باب عطف الخاصّ على العامّ، فإنّ ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ مدحٌ عامّ، و﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ مدحٌ بالوصف الخاصّ، ونكتة الوصل: المغايرة بين ما هو له، وما هو لله سبحانه في الأوصاف الواردة، فكونه ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ هو بكسبه واختياره، وأمّا كونه ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ فمَحْضُ اجْتِبَاءٍ وإفضالٍ من الله عليه، لا دخل له فيه.

وجملة: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ تثبّيتٌ وتأكيد لجملة ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾؛ لأنّ اتّصافه بالنّبوة والرّسالة يزيد في اتّصافه بصدق الوعد، فيدلّ على كمال الوصف فيه، ويُمكن هذا المعنى ويؤيّس به اقترانهما

(1) فاضل السّامرائي، معاني النّحو: 2/ 149.

(2) صافي، الجدول: 16/ 314.

في آية مستقلة؛ فذلك الاقتران مصباح قرآني يهدي إلى فهم أثر الثاني في الأول، ولا يخفى ما بين الجملتين من الترقي في الأوصاف من الفاضل إلى الأفضل.

دلالة الواو في قوله ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ﴾:

جملة: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾؛ جمعاً بين وصف النبوة والرسالة، وقيامه بتكليفها من البلاغ وموعظة الناس من قومه الذين هم أهله، والمعطوف عليه وما قبله كان في تقرير تكميل نفسه ﷺ.

يثار لفظ الأمر، دون غيره:

التعبير بلفظ (الأمر) في قوله: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾؛ إشارة إلى أنه يُبَلِّغُ ما كُلِّفَ به كما هو، فلمّا كان التكليف بالصلاة على جهة الإلزام، وكان مأموراً بإبلاغ هذا الإلزام، عبّر عنه بصيغة الإلزام بعبارة الأمر؛ ففي التعبير به: إشارة إلى وفائه لربه، فهو راجع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، وفيه إشارة لطيفة إلى عظيم حرصه على أن يُصَلِّيَ أهله؛ بتنزيله منزلة من يُلْزِمُهُم بالصلاة.

نكتة المجيء بالمسند جملة فعلية:

المجيء بالمسند جملة فعلية في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُ﴾ للدلالة على مُزاولته للفعل كلما جد سببه، وهو حضور الصلاة، أو وجود من يترك الصلاة فيأمره، ولذا عبّر بصيغة المضارع للدلالة على التكرار والاستمرار.

نكتة اختصاص المفعول ﴿أَهْلَهُ﴾:

حَصَّ ﴿أَهْلَهُ﴾ بالأمر بالصلاة دون غيرهم اشتغالا بالأهم، وهو أن يُقْبَلَ الرجل بالتكميل على نفسه، وعلى من هو أقرب الناس إليه، على غرار قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، وقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: 132]، وقال: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ
تَعَدَّى خَيْرَهُ
لِلنَّاسِ

لِلرَّجُلِ إِمْرَةٌ عَلَى
أَهْلِ بَيْتِهِ فِي
الدِّينِ وَالْدُّنْيَا

تكرار التذكير
ينفع ويهدي

الإحسان الدنيوي
أولى

نَارًا [التحریم: 6]، وقصداً إلى تكميل الكل بتكميلهم، لأنهم قدوة يؤتسى بهم؛ هذا على أن أهله خاصته فقط، وقيل: أهله أمته، فإن الأنبياء ﷺ آباء الأمم⁽¹⁾، وأمة العرب نشأت من ذريته، فهم أهله بالمفهوم الواسع للقرابة العامة⁽²⁾، ويكون إطلاق الأهل على عموم القوم فيه إشارة إلى كمال العناية بهم، بتحريضهم على الإيمان؛ ليكونوا أهله في الانتساب إلى دينه، كما كانوا أهله لاشتراكهم معه في الانتساب إلى القومية والجنس.

معنى الباء في قوله: ﴿يَاْمُرْ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾:

الباء في قوله: ﴿يَاْمُرْ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ للتعدية، والكلام على حذف المضاف إيجازاً؛ لوضوحه، لأن التكاليف لا تتوجه إلى الذات بل للأفعال، فالتقدير: (يأمر بإقامة الصلاة)، أو (فعل الصلاة)، وتعدّي الأمر بالباء إلى ذات الصلاة في الظاهر: تنبيهه على عظيم حرصه على إقامتها وفعلها.

دلالة العطف بين الصلاة والزكاة، ومعنى (أل) فيهما:

الاقتران بين الصلاة والزكاة مع إسناد فعل ﴿يَاْمُرْ﴾ إليهما يوافق قول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، فإن النبي ﷺ من ذرية إسماعيل وعلى ملته، وهو متبع له في الشعائر، وأغلب الشعائر لها اقتران بإسماعيل ﷺ، كما في الحج والأضحية وغيرهما، وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: 78]، وهذه التسمية إسماعيل شريك فيها بدعائه في قوله: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: 128]، فلا غرابة أن تكون الصلاة المأمور بها في قوله: ﴿يَاْمُرْ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ هي العبادة البدنية، كما

التكاليف خطاب
بالأفعال

خير العبادة
ما نفعت بها
نفسك وغيرك

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 270 / 5.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 130 / 16.

في قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: 132]، وعليه: فالتعريف في الصلاة في: ﴿يَأْمُرْ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ للعهد، أي: الصلاة المعهودة في شريعته، وتكون الزكاة مذكورة بعد الصلاة على أنها تُعين على الكمال والإحسان في تحقيقها وأدائها؛ لأن الانشغال بتحصيل الرزق قد يُباعد بين العبد وبين ذلك، فهو يأمرهم بما يُكملهم غاية الكمال⁽¹⁾.

سِرُّ تكرارِ فعلِ الكونِ أربعَ مرَّاتٍ:

ذَكَرَ فعلُ الكونِ الماضي أربعَ مرَّاتٍ في تعديدِ التَّناءتِ على إسماعيلَ ﷺ، في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾؛ لتحقيق أن هذه الأوصاف كانت لازمة له لزومِ الجبلة والطَّبع⁽²⁾، على حدِّ الإبلاغ؛ لأنَّ كونَ الأوصاف كذلك يحصل بذكر الكون أولَ مرَّةٍ في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾؛ لأنَّ ما بعده معطوف عليه؛ فهو في حيزِ الكونِ الأوَّل، فكان ذِكرُ الكونِ في الجُمْلِ الثلاثِ على خِلافِ الظَّاهر، فهو تكرار اصطلاحِي؛ لأنَّه في سياقٍ ومقامٍ واحدٍ؛ وهذا من تعظيمِ ذِكرِ إسماعيلَ.

دلالة الواو:

جملة: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ معطوفة على التَّناءتِ قبلها، وجُعِلَت هذه الجملةُ في نهايةِ مناقبه ﷺ، لأنَّ المَرْضِيَّ عند الله هو الفائز في كلِّ طاعاته بأعلى الدَّرَجَاتِ⁽³⁾.

نُكْتَةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ على الخبرِ:

تقديمُ شبهِ الجملةِ على الخبرِ في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾؛ لإفادة الاختصاصِ الدَّالِّ على التَّشريفِ العظيمِ، ومضامينِ الكرامةِ والتَّشريفِ مُقَدِّمَةً لا تتأخَّر، وقد كُنِيَ عن هذا

الأنبياءُ ملازمون
للخير، منفكون
عن السَّوءِ أبداً

منتهى سعي
العبد أن يرضى
الله عنه

من وجد الله
فقد وصل

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 550.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 12 / 214.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 550.

التَّكْرِيمِ التَّعْبِيرُ بِالْعِنْدِيَّةِ، فَإِنَّهَا فِي مَعْنَى الْجَائِزَةِ الْقَرِيبَةِ فِي صِدَارَتِهَا وَالْإِبْتِدَارِ تَعْجِيلًا بِهَا، وَلِذَا قُدِّمَتْ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ الْعِنْدِيَّةَ لَمَّا أُسْنِدَتْ إِلَى ذِي الْجَلَالِ وَالْعَظَمَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِيَتَقَدَّمَ فِي النِّظْمِ زِيَادَةً فِي الْعَنَاءِ، لِأَنَّهَا رُتَبَةٌ لَا تُسَبِّقُ، فَلَهَا التَّقَدُّمُ الْمُطْلَقُ لَفْظًا وَمَعْنَى، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَاسْتَحَقَّ بِهَذِهِ الْمَنَاقِبِ أَنْ يُحَرِّزَ مَقَامًا خَاصًّا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ الْمَضْمُونُ الظَّاهِرُ لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ ثَمَرَةَ الْجَمَلِ الثَّلَاثِ قَبْلَهَا، فَإِنَّ دَلَالَاتِ هَذَا التَّقْدِيمِ مِنْ ثَمَرَاتِهَا أَيْضًا؛ مِنْ غَايَةِ التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّقْرِيبِ، وَمَا جَرَى فِي هَذَا الطَّرِيقِ مِنَ الْمَعْنَى، وَفِي التَّقْدِيمِ أَيْضًا تَشْوِيقٌ لِلْمُؤَخَّرِ؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ؛ حَتَّى لَا يُغْفَلَ عَنْهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِذَا قُدِّمَ.

نكتة التعبير بالرُّبُوبِيَّةِ:

أُضِيفَتِ الْعِنْدِيَّةُ إِلَى الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْعِنْدِيَّةَ مَقَامٌ إِحْسَانٍ وَإِفْضَالٍ وَاسِعٍ، فَهِيَ دَرَجَةٌ مَثُوبَةٌ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَهِيَ مِنْ ثَمَرَاتِ تَحْقِيقِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ فِي الْجَمَلِ الثَّلَاثِ الْوَارِدَةِ قَبْلَ جَمْلَتِهَا.

سِرُّ إِثَارِ صِیْغَةِ ﴿مَرْضِيًّا﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ الْقِرَآئِيُّ بِصِیْغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَرْضِيًّا﴾، أَيْ: مَرْضُوءٌ عَنْهُ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ⁽¹⁾، حَتَّى صَارَ مَطْبُوعًا بِالرِّضَا فِي دَاخِلِهِ وَخَارِجِهِ، وَصِیْغَةُ اسْمِ الْمَفْعُولِ تَدُلُّ عَلَى الثَّبُوتِ وَالْحُدُوثِ وَالذَّاتِ، أَيْ: ثَبُوتِ الْوَصْفِ لِذَاتِ الْمَفْعُولِ، وَتَجَدُّدِ حَدُوثِهِ الزَّمْنِيِّ لَهُ، فَهُوَ عَرِيقٌ فِي رِضَا اللَّهِ عَنْهُ، وَكَلَّمَا أَحْدَثَ خِصَالًا مِنْ خِصَالِ الْعُبُودِيَّةِ تَجَدَّدَ لَهُ حَدُوثُ الرِّضَا، فَيَزْدَادُ مِنْهُ بِقَدْرِ مَا زَادَ هُوَ فِي الْخَيْرِ، وَلِذَا فَالْصِّیْغَةُ تَدُلُّ فِي الزَّمَنِ عَلَى تَحَقُّقِ الصِّفَةِ وَاسْتِمْرَارِهَا فِي الْمَضِيِّ وَالْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ.

(1) السَّمِين، الذَّرِّ لِلصَّوْنِ: 608/7.

من استودع
نفسه عند الله
لم يخب

من أَرْضَى اللَّهَ
أَرْضَاهُ اللَّهُ

نُكْتَةُ تَكْبِيرِ الْخَبَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَرْضِيًّا﴾:

نُكِرَ الْخَبَرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَرْضِيًّا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى فُخَامَةِ مَعْنَاهُ؛ وَتَعْظِيمًا
لِلْمَوْصُوفِ بِهِ، وَذَلِكَ مَعَ اتِّصَالِهِ بِالْعِنْدِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

الصَّدَقُ وَالْوَفَاءُ:

أَصْلُ (صَدَقَ) يُدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ، فَالصَّدَقُ
خِلَافُ الْكَذِبِ، وَقَدْ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقَوْتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا
قُوَّةَ لَهُ⁽¹⁾، فَالصَّدَقُ يَتَعَلَّقُ بِإِقْضَاءِ الْفِعْلِ عَلَى وَفْقِ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ فِي
نَفْسِهِ، فَإِذَا أُضِيفَ لِلْوَعْدِ كَمَا فِي الْآيَةِ، فَمَعْنَاهُ إِقْضَاءُ الْمَوْعُودِ بِهِ عَلَى
حَاضِرِهِ وَتَفَاصِيلِهِ، بِمَا يَتَطَابَقُ مَعَ حَقِيقَتِهِ.

وَأَمَّا الْوَفَاءُ: فَأَصْلُهُ (وَفَى)، وَيَدُلُّ عَلَى إِكْمَالِ الشَّيْءِ وَإِتْمَامِهِ،
وَمِنْهُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ بِإِكْمَالِ شَرْطِهِ⁽²⁾، فَكُلُّ مَنْ الصَّدَقُ وَالْوَفَاءُ
يَشْتَرِكَانِ فِي الْمَالِ بِتَحْقِيقِ الشَّيْءِ وَإِتْمَامِهِ، إِلَّا أَنَّ الصَّدَقَ يُلْمَحُ
فِيهِ التَّأَكُّيدُ عَلَى صِحَّةِ الْقَصْدِ وَحَقِيقَةِ الْبَاطِنِ وَقُوَّةِ الْعَزْمِ، فَيَتَعَلَّقُ
بِالْمَبْدَأِ وَوَضْعِ الصَّحَّةِ، وَالْوَفَاءُ يُلْمَحُ فِي التَّأَكُّيدِ عَلَى تَتَمِيمِ الْخُطُواتِ
وَتَكْمِيلِ أَجْزَاءِ الشَّيْءِ، فَيَتَعَلَّقُ بِالْمُنْتَهَى وَوَضْعِ الْكَمَالِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (وَافِيَ الْوَعْدِ)؛ لِيَدُلَّ
عَلَى أَنَّهُ مُخْلِصٌ فِي قَصْدِهِ، صَحِيحٌ فِي عَزِيمَتِهِ إِذَا قَطَعَ وَعْدًا، وَهَذَا
هُوَ الْأَنْسَبُ لِأَنَّهُ أَضَافَهُ لِلْوَعْدِ، وَالْوَعْدُ تَرْجِيَّةٌ بِالْإِنْجَازِ لَا إِنْجَازٌ⁽³⁾،
فَأُضِيفَ الصَّدَقُ إِلَيْهِ لِأَنَّ الصَّدَقَ مَبْدَأُ تَحْقُوقِ الْأَشْيَاءِ، فَهُوَ قُوَّتُهَا
الْمَوْلُودَةُ لَهَا فِي الْوَاقِعِ بِالتَّجْزِيزِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ وَعْدًا بِالْفِكْرَةِ وَالْكَلِمَةِ،
كَمَا أَنَّ التَّجْزِيزَ بِالْإِنْجَازِ هِيَ مَبْدَأُ الْإِنْجَازِ، فَأُخْبِرَ بِمَا يَنَاسِبُ

الصَّدَقُ شَرْطُ
صِحَّةِ كُلِّ شَأْنٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّائِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَجِبِلٌ، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِي: (وفى).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد).

الوعد عند تعاطيه والترجيّة به، وهو القدر المضمون الذي سيُسأل عنه كلُّ إنسانٍ وهو
يقطع وعدًا، وأمّا الوفاء فيتعلّق بالإنجاز المستقبليّ، وهو غير مضمونٍ حالّ الوعد، وغيرُ
مسؤولٍ عنه في الحاضر.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 31، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-73-0

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 31: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريم من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-73-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»